جمهورية مصر العربية	١٣ من جمادى الأولى ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	١٠ من فبراير ٢٠١٧م

(١)

فروض الكفايات
ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن المتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد ، والسُّمُوّ بالنفس البشرية إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين ، عن طريق الالتزام بمنهج الله (عز وجل) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثم يتمكن الإنسان من القيام بالمهمة التي خلقه الله (عز وجل) من أجلها ، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وعمارة الأرض ، قال سبحانه:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}.

ومن جملة الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام لتحقيق الخير للإنسان ما يعرف بفرض العين ، وفرض الكفاية ، أما فرض العين فهو ما يجب وجوبًا عينيًّا لازمًا على شخص معين بذاته بحسب قدرته واستطاعته ، لا يقوم غيره فيه مقامه ، ويمثل له علماء الشريعة بالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فلا يجزئ صيام الأمة كلها عن إفطار من أفطر ، ولا يغني عنه صيامها من الله شيئًا ، وكذلك الصلاة والزكاة ، ففرض العين إذا أقامه المسلم نال ثوابه وحده ، وإذا تكاسل عنه تحمل إثمه وحده.

وأما فرض الكفاية فهو لا يتعلق بشخص بعينه ، بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع ؛

لكن إذا قام به بعض الناس سقط الإثم عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعًا، ومن ثم ففرض الكفاية هو ما يجب على المجتمع أن يقوم به من إنفاق المال ، أو بذل الجهد لدفع الضرر عن الفقراء والمساكين وغير القادرين ، يقول الحق سبحانه:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

فالكل في سفينة واحدة ، ولكي تصل إلى برِّ الأمان لابد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا).

وإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد مثلوا لفروض الكفاية ببعض الأمور ، كردِّ السلام ، وتشميت العاطس ، واتباع الجنائز ، وتغسيل الميت ، وتجهيزه ، وتكفينه والصلاة عليه ، ونحو ذلك ، فإنما ذكروا ذلك كله على سبيل المثال لا الحصر ، حيث إن مفهوم فروض الكفاية يتسع لكل ما فيه صلاح البلاد والعباد ، فهي لا تتوقف عند مجرد الشعائر فحسب ، بل تتناول كل ما تقوم به حياة الفرد والمجتمع ، أو ما يهدف إلى المصلحة العامة ، انطلاقا من قوله تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا يؤمنُ أَحدُكم حتَّى يحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لنفسهِ).

على أن كثيرًا من الناس يعتقدون أنهم أدوا ما عليهم بدفع زكاة أموالهم ، وغاب عنهم ما في المجتمع من أيتام وأرامل ، وفقراء ومساكين ، ومرضى ومنكوبين ، فليعلم الجميع أنه إذا أصيب أحد بكرب ، أو احتاج شيئًا وجب عليهم أن يدفعوا عنه ذلك الكرب ، أو يقضوا له تلك الحاجة متضامنين ، فإذا قام به واحد منهم سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تخلف الجميع أثموا جميعًا.

ومن أمثلة فروض الكفاية التي تحقق التوازن المجتمعي: **التكافل الاجتماعي**: فالإسلام لا يَعْرِف الفردية أو الأنانية أو السلبية ، وإنما يعرف الإخاء الصادق ، والعطاء الكريم ، والتعاون على البرِّ والتقوى ، وهذا ما دعا إليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ : فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ).

ولقد ضرب الأشعريون أروع الأمثلة في التكافل المجتمعي فاستحقوا ثناء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا ـ نَفِدَ زادهم ـ فِي الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)، فهذا مثال عمليّ واقعيَ ، تنتفي فيه كل مظاهر الفردية والأنانية ، ويستحضر الجميع روح الجماعة والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار إحساسًا بكونهم جسدًا واحدًا يقوى بالتعاطف والتراحم والتكافل والتعاون

(ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ) فكان التعقيب المحمدي على هذا الفعل الجميل بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

ومن فروض الكفاية: **قضاء حوائج الناس** ، فقضاء حوائجهم والقيام بمتطلبات حياتهم من الواجبات الشرعية والوطنية ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ)، وفي حديث آخر نرى النبي (صلى الله عليه وسلم) يقدم قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده ، حيث يقول: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ).

والمتأمل في واقع الناس اليوم يجد منهم الفقير الذي لا يجد ما يسد جوعه ، والمريض الذي لا يجد دواءه ، والأرامل ، واليتامى والضعفاء ، ومن لا عائل لهم ، هؤلاء وغيرهم أحق بقضاء مصالحهم وحوائجهم ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحرص على متابعة أصحابه في قضاء حوائج الناس والسعي في مصالحهم ، فيسأل عمن فعل واستجاب وعمن حرص واقتدى ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا) قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه): أَنَا. قَالَ : (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً). قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا). قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. قَالَ: (فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا). قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا. فَقَالَ(صلى الله عليه وسلم): (مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

كذلك من فروض الكفاية التي تسهم في سد حاجات المجتمع: العمل على تخريج المتميزين من الأطباء والمهندسين والعلماء المتخصصين بما يحقق كفايته في شتى المجالات العلمية والإنتاجية.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: " أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ،كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ، ... وكذلك فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات ".

فلو خلا بلد من هذه العلوم والصناعات تعرض أهل هذا البلد للهلاك ، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، ومن لا يملك قوته وسلاحه وعتاده ودواءه لا يملك إرادته ، ومن ثمَّة وجب علينا جميعًا وجوبًا دينيًّا ووطنيًّا أن نعمل وبمنتهى الهمة والجد على تحقيق الكفاية لوطننا في جميع المجالات حتى نصبح أمة منتجة ، أمة مصدرة ، أمة نافعة لنفسها وللإنسانية ، وليست عالة على غيرها ، لا في طعامها ، ولا في شرابها ، ولا في كسائها ، ولا في علاجها ، فعلاج مرضى المجتمع أمانة في أعناق أطبائه ، ومحو أمية المجتمع أمانة في أعناق مُعلِّميه ، وحفظ أمنه أمانة في أعناق جيشه وشرطته ، وعدل المجتمع أمانة في أعناق قضاته ، ففروض الكفايات تقوم على المسئولية التضامنية لأفراد المجتمع ، كل في مجاله وميدانه ، يقول سبحانه وتعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

إن القيام بفروض الكفاية خير وسيلة للقضاء على الفقر ، والجهل ، والمرض ، حتى لا يجوع فقير ، ولا يضيع يتيم ، ولا يحتاج مسكين ، ومن ثمَّ يتحقق التوازن

المجتمعي ، والعدل بين الناس ، وضمان الأمن والأمان ، من خلال إنفاق المال لإطعام الجائعين ، ورعاية اليتامى والمساكين ، وعلاج المرضى والمعاقين ، وبذل الجهد لإغاثة الملهوفين والمنكوبين ، وإزالة الكرب عن المكروبين ، وتقديم يد العون للفقراء والمحتاجين ، وبذلك يتحقق التوازن المجتمعي.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن أمثلة فروض الكفاية التي تسهم في سد حاجات المجتمع: السعي إلى تحقيق القوة في جميع جوانب حياتنا الإيمانية ، والعلمية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والإنتاجية ، يقول تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}، ولم يحدد الله تعالى نوع هذه القوة ، فهى شاملة لكل قوة تصلح الأمة ، سواء كانت قوة روحية أم علمية أم جسدية ، أم غير ذلك.

ومن أمثلة فروض الكفاية: **تلبية حاجات المجتمع الضرورية** بمراعاة فقه الواقع وتقديم فقه الأولويات ، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء المستشفيات وتجهيزها لعلاج الفقراء ورعايتهم فلابد من القيام بذلك ، وإن كانت حاجة المجتمع لبناء المدارس والمعاهد وصيانتها وتجهيزها والإنفاق على طلاب العلم ورعايتهم فلابد من

القيام بها ، وإن كانت الحاجة ماسة لتيسير زواج المعسرين وسدِّ الدين عن المدينين وتفريج كروب الغارمين والغارمات فلابد من القيام بذلك ، وإن كانت الحاجة في توفير المياه النقية الصالحة لكل أفراد الأمة ، فلابد من القيام بهذا الواجب سدًّا للحاجات الضرورية للمجتمع ، وهذا ما فعله سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عندما اشترى بئر رومة استجابة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)، قال سيدنا عثمان: فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ بِئْرَ رُومَةَ ، قَالَ: (اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ)، فقد كانت حاجة المجتمع ماسة لشراء المياه ، وكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم.

ومن ثمَّ فإن فروض الكفاية تتعلق بكل حاجات المجتمع ، وتغطي كل مجالات الحياة ، ولنعلم أن إحياء الواجب الكفائي يسهم في تحقيق التكافل والتوازن المجتمعي من جهة ، وسد حاجات الوطن الأساسية والضرورية من جهة أخرى ، فما أعظم ديننا لو فهمناه فهمًا صحيحًا وطبقناه تطبيقًا واعيًا ؛ لأنه حريص أشد الحرص على ما فيه صالح البلاد والعباد والإنسانية.

نسأل الله العظيم أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.